محمد عبد المعطى

المرح

القصائد تشبه أصحابها، وقصائد الراحل "محمد عبد المعطي" الذى مرت ذكراه الأولى منذ شهور ولم يتذكره أحد – تشبهه كثيراً فى عفويتها، وطزاجتها، وصدقها الفنى والشعوري، فحينما كنت تقبل عليه، تشعر بارتياح شديد لفرط الطيبة والحميمية التى تتبدى من تقاطيع وجهه الذى يميل إلى الاستدارة أكثر، والمبتسم دائما وكأنه يحتضنك بعينيه الصغيرتين المندهشتين اندهاشه الشعراء، واللتان تلمعان من خلف نظارته، بصلعته الخفيفة التى تبدأ من منتصف رأسه المستديرة كرمانة كبيرة وتنتهى بجبهته البارزة قليلا للأمام، وشاربه الخفيف الذى يعلوه أنف عريض، بقامته القصيرة، وجسده الممتلئ "المدكوك"، فتراه لا يكف عن الضحك، وإشاعة الصخب والهرج فى المكان، وإطلاق النكات بخفة ظله المعهودة، فلم أره أبدأ إلا مبتسما رغم أحزانه الكثيرة التى كان يخفيها بداخله، وكأنه أودعها فى "خزينة" أسراره، لا يبوح بها لأحد، ولا يعطى مفتاح خزينته إلا "لخاصته" واحسبنى أحدهم.

obeikandl.com

مـرت سـتة عشـر عامـا بـين لقائـى الأول بالراحـل، ولقائـى الأخـير هـى عمـر العلاقـة بيننـا، خلالهـا جـرت ميـاه كثـيرة فـى النهـر، وجمعتنـا نـدوات ومؤتمـرات وحكايـات ومسـامرات، فقـد التقيـت بـه للمـرة الأولى فـى صيـف ١٩٩١، حينمـا ذهبنـا سـويا لاسـتلام جوائـز شـعر العاميـة التـى فـاز بهـا كلانـا فـى المسـابقة المركزيـة بهيئـة قصـور الثقافـة، وآخـر لقـاء بـه كان فـى العريـش أثنـاء عقـد مؤتمـر اتحـاد الكتـاب العـرب، وطيلـة أربعـة أيـام وثـلاث ليـال لم نفـترق، كان فـى تلـك الأيـام أقـرب مـا يكـون منـى، أفـاض إلىّ بأحزانـه وهمومـه ومـا فعلـه لأصدقـاء بـه مـن "خيانـات" كان حزينـا حزنـاً غامضـاً – كمـا وصفـه لى – ولديـه شـعور بأنـه لـن يمهلـه العمـر لكـى يحقـق أحلامـه التـى يصبـو إليهـا، وأنـه قـد تخطـى الثلاثـة والأربعـين دون تحقيـق شـئ يذكـر، وكنـت بـدورى أخفـف عنـه شـعوره بالمـرارة.

ولـد "محمـد عبـد المعطـي" فـى ٢٧ أغسـطس عـام ١٩٦٣ بالفيـوم، ورحـل فـى ٣ أغسـطس ٢٠٠٧ عـن عمـر يناهـز الرابعـة والأربعـين، وهـو مـا زال فـى عـز عطائـه الإبداعـي، فقـد خطفـه المـوت بغتـة منـا علـى أثـر حـادث أليـم علـى طريـق الفيـوم بحـيرة قـارون، وهـو راكـب خلـف أحـد أصدقائـه علـى ظهـر دراجـة بخاريـة.

كان فـى بدايـة عهـده بالكتابـة يـترد علـى النـدوات الأدبيـة بالقاهـرة، يلقـى أشـعاره فيهـا، ويشـارك فـى مناقشـاتها، ويعـود أدراجـه إلى الفيـوم، وقـد أتـاح لـه قـرب الفيـوم مـن

القاهرة إقامة العديد من العلاقات الطيبة مع أدباء وشعراء العاصمة، بل وأدباء وشعراء مصر كلها من أقصاها إلى أقصاها من خلال مشاركته الفعالة فى ندواتها ومؤتمراتها التى كان حريصاً على المشاركة فيها، ومتمتعا بمحبة الجميع، لم يأل جهداً فى القراءة وتثقيف نفسه، ومتابعة كل جديد على الساحة الثقافية، حتى صار بالفعل صوتاً شعريا فريدا ومتميزا، وفى طليعة جيله - جيل الثمانينيات الأدبى - أصدر ديوانه الأول "رحيق الشهد والمحاياة" فى سلسلة إبداعات بالهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٩٦، واتبعه بديوانه الثانى "بنت ما ولدتهاش ولادة" عام ٢٠٠٠، وكان علامة فارقة فى تجربة عبد المعطى الشعرية، ولم ير ديوانه الثالث "صندوق روبابيكيا" الذى صدر فى سلسلة أصوات بقصور الثقافة بعد وفاته بعدة أيام، ليدلل بقوة على وضوح ملامح تجربته الشعرية المتألقة والمختلفة. يقول فى مطلع القصيدة التى تحمل عنوان الديوان:

"طعم هزيمتك/ مش قد مرارة حلقى امبارح/ وأنا فى اللفة/ شايف الدنيا ومش قادر أعود تاني/ بتستغرب ليه/ كام عقب سيجارة اتخنقوا فى طفايتك/ من ساعة ما واجهتك بحقيقتك/ وازاى لسوعت صوابعك/ ونفخت عليهم نار صدرك/ فاتحرقوا زيادة/ هاتعلق خيبة أملك/ على مين المرة دى"

وقد شارك عبد المعطى مع زملائه فى تأسيس الحركة الأدبية فى الفيوم، ورأس نادى الأدب بها لعدة سنوات،

كما شارك فى الأمانة العامة لمؤتمر أدباء مصر لعدة دورات، وانتخب أميناً عاماً لمؤتمر إقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد الثقافى عدة دورات، وكان أولها مؤتمر "أزمة الشعر فى مصر" عام ١٩٩٦، الذى رأسه الناقد الكبير الراحل محمود أمين العالم، وكان للراحل دور بارز فى الحركة الأدبية فى أقاليم مصر، حاز خلال مسيرته الإبداعية العديد من الجوائز فى مجال شعر العامية من هيئة قصور الثقافة أعوام ٩٠و٩١و٩٢و٩٣ وكرمه مؤتمر الفيوم الأدبى الخامس عام ١٩٩٩، ومؤتمر أدباء مصر بالإسكندرية عام ٢٠٠٢م.

لم يتوقف جهد "عبد المعطى" عند كتابة شعر العامية فقط بل قام بإعداد مجموعة من البرامج الإذاعية لإذاعة شمال الصعيد، وكتب العديد من أغانى المسرحيات منها: ع الرصيف، محاكمة عم أحمد، حفلة على الخازوق، هلوسة الهلالية، من الذى يدق الباب، مملكة الذئاب، وكون مع المطرب والملحن "عهدى شاكر" ثنائيا رائعا، وطافت أغانى عبد المعطى معظم أقاليم مصر من خلال حنجرة عهدى طوال السنوات الماضية، ولا ننسى أغنية "القدس" التى كتبها الراحل وغنتها "عزة بلبع"، كما كتب أيضا عدة نصوص مسرحية، وبعض السيناريوهات للتليفزيون. وكان يحلم - رحمه الله - بأن يرى فيلمه الذى كتبه مؤخرا، وتحمست لإنتاجه إحدى شركات الإنتاج أن يرى النور، ولكن لم يمهله القدر ليرحل قبل أن يراه، كما ترك أيضا

بعض الأعمال الإبداعية التى لم تنشر منها مسرحية "أحلام شامة" المأخوذة عن سيرة سيف بن ذى يزن".

ويقول فى إحدى قصائد ديوانه الأخير "بافتكر الضحكة المهزومة/ وبطالع نشرات الأخبار/ وأتريق على كل صحابى الشعرا/ وباموت م الضحك قصاد قلمي/ ساعتين وأنا عاجز عن ترجمة الصورة/ وتأويل المعنى/ وباحاول أفسر فى غبائى قدام الهرم المقلوب".

لم يحدث قط أن ذهبت إلى الفيوم، ولم يكن عبد المعطى فى استقبالي، منذ تعرفت عليه، إلا فى المؤتمر الذى عقد بقصر ثقافة الفيوم لتأبينه فى يناير٢٠٠٨، كان يوماً حزيناً كابياً، بدأ الافتتاح متأخرا بسبب سوء الأحوال الجوية، وكأن الطقس كان مصرا على مشاركتنا الحزن على رحيل "عبد المعطي" كما جاءت الكلمات التى ألقيت فى المؤتمر – فى معظمها – معبرة عن فجيعة الفقد، ولم تخل كلمة من الحديث عن إنسانية وطيبة وشاعرية الراحل، الذى لم يختلف عليه اثنان، كما أجهش معظم الشعراء بالبكاء وهم يلقون أشعارهم وكأن روح "عبد المعطي" كانت تطاردنا، وحقيقة كنت أشعر بأنها بالفعل تحوم فى المكان. وأبت ألا تتركنا وحدنا نعتصر الحزن والصقيع دون أن تشاركنا كعادة صاحبها دائما، والذى تنبأ بدنو أجله فى آخر قصيدة كتبها كما روى لنا شقيقه الشاعر "محمود عبد المعطى" الذى قال: إن هذه القصيدة وجدت تحت وسادة

الشاعر والتى كتبها صبيحة يوم الجمعة الموافق ٣ أغسطس ٢٠٠٨ أى صباح وفاته والتى يقول فيها: "فيها إيه/ لو كسرت القلم اللى فى أيدك/ وكفرت بنفسك/ ولعنت العالم ميت مرة/ وطفيت الجمر الوالع جواك/ الشبابيك مش لاقيالها مكان ع الشارع/ والموت ما بيرحمش".

حقا إن الشاعر "نصف نبي" رحم الله "محمد عبد المعطي" الشاعر والإنسان.

★ نشر فى جريدة أخبار الأدب فى ٣ مايو ٢٠٠٩

obeikandi.com